هل يصنع الخطيب الحسيني شاعرا ؟

اليوم مع وفاة الملا محمد مسيري رحمه ا سأدع عليا النحوي الطفل يكتب مرثيته ، معترفا إني أحد الأطفال الذين وفقوا للجلوس تحت منبره ، وتسجيل مجالسه في أشرطة الكاسيت ، ومن ثم الاستماع للقصائد الفصيحة والشعبية التي يقرؤها ، ثم حفظها وترديدها بطريقته ، ومازلت لليوم أقرؤها مترنحا .

يا سادة ملا محمد مسيري لم يكن صوتاً عابراً أبداً ، ولا مجرد ناعٍ ، إنما كان مدرسة .

أقولها وكلي ثقة بذلك ، وبحاستي الموسيقية ، وذلك ما كنت أتداوله كثيرا بخاصة مع صديقي السيد محمد المكي ، الذي كان يقول : لا ألومك في حب مسيري !!

ثم نقرأ معا بعض تراتيله .

بعيدا عن حسن اختيار مسيري للقصائد الفخمة للسيد حيدر الحلي أو السيد جعفر الحلي أو السيد هاشم الكعبي أو ملا عطية أو بن فايز ، فإنه يمتلك حنجرة تغزو المتلقي في أقصى مشاعره .

أما بحّة صوته فكثيرا ما كانت تقتحم تلافيف عقلي وأمشاج قلبي لتفعل فعلاً عجائبياً غرائبياً بي ، وهنا لابد من الإشارة إلى ما في مأساة كربلاء من مدد للقارىء الحسيني الاستثنائي .

محمد مسيري لا يمكن العثور على سر أثره الطاغي على المتلقي سوى إنه ذو قدرة على مسرحة المشهد الشعري ، وتحويله لمشهد سينمائي ذي موسيقى وضوء ومؤثرات حسية ووجدانية .

اللحظة أعترف أن محمد مسيري بخاصة صنع مني شاعرا ، كما أعترف إني أحبه كثيراً ، ولا أشك أن جماهير كثيرة تشاطرني وتنافسني في حبه .

مسيري أيقونة يجب ألا تغادر ذاكرتنا ، بل يجب أن تكون محط دراسة ، وهنا أشير لملا طاهر البحراني رحمه ا الذي يستحق الاهتمام ذاته .

أعود لأيام الطفولة لأصور لكم يا سادة كيف كنت أحلق بكلي إلى منبره ، لأرصد شفاهه وملامحه وحركة يديه ، وحلوله في النص الشعري وكأنه سرب ملائكة تهبط من السماء .

صدقوني لم ينفك هذا الرجل من ذاكرتي قط رغم سيل التحولات الثقافية والفكرية التي مررت بها ، وكثيرا ما كنت أستمع لمقاطعه المسجلة ، وأدعو الأصدقاء للإصغاء إلى السر العجيب فيما ينهمر من سماواته .

من آنذاك نمت في أعماقي البذرة الأولى للشعر ، البذرة التي كونها ملا أحمد الطويل رحمه ا ، وتفتقت وترعرعت بفعل سحر مسيري .

ترى هل يستطيع فعل كل ذلك خطيب حسيني ؟!

نعم يستطيع ، وهنا أزعم أن المنبر الحسيني هو الصانع الأول لكل شاعر تربع لدى أعواده ، فكيف إذا

كان القارىء للنص ملا مسيري أو ملا طاهر البحراني أوسيد عمران السادة !!

مسيري مؤسس رئيس لعلي النحوي الشاعر ، وكثيرا ما كنت أستعير منه ريشا لأجنحة طائري الشعري .

أدري إنني لن أستطيع وصف تأثير هذا الرجل بي ، لكن فقده ترك أثراً بالغاً بي ، وأدري أن هذا الأثر لن ينمحي أبداً ، وأعترف إني بكيته كثيراً وكأن هناك شريانا ً يربطني به قد انقطع !!

بقي أن أذكر لكم إني كنت حينما أعود للبيت أقرأ لوالدتي السيدة رحمها ا ما علق في ذهني من أبيات وتكملها لي وأحيانا أكتبها منها ، ثم إنها في الليلة التالية تهيؤني للذهاب إلى مدرسته .

ماذا بعد ؟

إننا اليوم بحاجة ماسة لأمثال مسيري الذي أعتقد أنه يمتلك مصداقية عليا في التفاعل مع المأساة الحسينية خاصة ، كما إنه يمتلك قدرة فنية عالية ، وطاقة إبداعية من الصعب أن تتكرر ، لذا كان لفقده وقع على متذوق مثلي .

أخيرا لدي تساؤل يقول : هل يمكن أن نقدم ما أنجزه نموذج كمسيري وأمثاله كفن خاص بالمنطقة دون الشعور بأنه خصوصية لطائفة ما ، بل هو فن ضمن منظومة من الفنون الشعبية التي تمتد عبر طول مملكتنا الغالية وعرضها ؟!

أقول ذلك ما يجب أن يكون .

وأما على مستوى المنطقة فيجب أن تدرس طريقة هؤلاء وتكتب حولها المقالات من المتخصصين في المقامات والأداء المسرحي ، بخاصة لو عرفنا أن كتب الأدب تقرر إن أولى بذرات المسرح العربي كانت مشاهد فاجعة كربلاء الممسرحة .

مسيري أكبر وأكثر مما كتبت ، ولا أشك أن هناك في سيرته ما يؤكد كلامي ، وما يكشف عن جوانب أخرى ، أرجو أن يجليها القريبون منه .